مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(2): 225–242
DOI: 10.31456/beytulmakdis.645160

السياسة الخارجية التركية حيال التضامن مع قطاع غزة 2006-2016: دراسة تحليلية

موسى محمد عكاري* / أمين الرشيد ياتيبان / عبد الفتاح العويسي

ملخص: تتناول هذه الدراسة مرحلة حساسة مرت بها العلاقات التركية الإسرائيلية، وذلك على ضوء تأييد الحكومة التركية الجديدة بقيادة رجب طيب أردوغان للشعب الفلسطيني والتنديد المستمر بالسياسات الإسرائيلية التعسفية، الأمر الذي أثار قلق الإسرائيليين من جانب وعزز لديهم الشعور بأن بقاء حزب العدالة والتنمية في الحكم يعني بأن مرحلة "شهر العسل" التي مرت بها العلاقة ما بين البلدين قد انتهت بلا رجعة. هذه العلاقة أخذت منحى جديد بعد عام 2006 نتيجة الحروب التي الإسرائيلية على قطاع غزة، مما أدى الى انزلاق العلاقة ما بين البلدين نحو منحدر عميق، كانت أهم افرازاتها المشادة الكلامية التي جرت في منتدى دافوس الاقتصادي، إضافة الى التصعيد الإعلامي ما بين البلدين، وحادثة إذلال السفير التركي فيما عُرف بحادثة "الكرسي المنخفض"، ومن ثم الاعتداء الإسرائيلي على سفينة "مافي مرمرة" وأسطول الحرية. وفي محاولة لفهم تطور الأحداث وكيفية تعامل صناع القرار في الحكومة التركية ازائها، سيتم اللجوء في هذه الدراسة الى النظرية الواقعية في دراسة العلاقات الدولية، والقائمة على فهم المصلحة القومية التي تسعى الدول للحفاظ عليها، الى جانب فهم توازن القوة.

الكلمات المفتاحية: الحصار على قطاع غزة، حزب العدالة والتنمية، منتدى دافوس، مافي مرمرة.

Turkish Foreign Policy about Solidarity with the Gaza Strip 2006-2016: Analytical Study

ABSTRACT: *This study examines one particularly fraught period of Turkish-Israeli relations in light of the support of the new Turkish government - under the leadership of Recep Tayyip Erdogan - for the Palestinian people, as well as the continued condemnation of arbitrary Israeli policies. These condemnations have aroused the concern of the Israelis on the one hand and on the other, reinforced their sense that the AKP's stay in power means that the "honeymoon" phase of the relationship between the two countries has ended irreversibly. This relationship took a new turn after 2006 as a result of the Israeli wars in the Gaza Strip. These wars led to the sliding of the relationship between the two countries demonstrated by several events: the most important of these being the verbal altercation at the Davos Economic Forum; media escalation between the two*

* معهد التميز لدراسات بيت المقدس، جامعة شمال ماليزيا (UUM)، ماليزيا، mmda.2011@hotmail.com

countries; the incident of humiliation of the Turkish ambassador in what was known as the "low chair" incident; and the Israeli assault on the Mavi Marmara and the Freedom Flotilla. In an effort to understand the development of these events and the ways the decision-makers of the Turkish Government are dealing with them, this study relies on the realism theory within the study of international relations, and is thus based on an understanding of the national interest that States seek to preserve, as well as an understanding of the balance of power.

KEYWORDS: *Blockade on Gaza, Justice and Development Party, Davos Forum, Mavi Marmara.*

مقدّمة

تسلط هذه الدراسة الضوء على السياسة الخارجية لحكومة حزب العدالة والتنمية حيال التضامن مع قطاع غزة، والذي فُرض عليه حصار اسرائيلي بعد فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية التي جرت في كانون الثاني من العام 2006. ومن خلال سعي حكومة حزب العدالة والتنمية في إعادة تموضعها كقوة مؤثرة في المنطقة والعالم، فقد تبنت دوراً أكثر فاعلية تجاه القضية الفلسطينية بشكل عام وقضية الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة بشكل خاص. ومع استمرار هذا الحصار فقد شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية عدة منعطفات حادة أدت إلى تدهور العلاقات بينهما بشكل طردي، ولا سيما بعد العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة نهاية عام 2008، حيث خرج رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان عن طوعه بسلسلة من التصريحات المنددة بهذا العدوان، كان من أبرزها التصريح الذي أصبح مشهوراً بـ (One minute) والذي كان في منتدى دافوس في نيسان 2009.

كذلك فقد وصلت العلاقة بين البلدين إلى منعطف حاد على إثر اعتداء قوات الجيش الاسرائيلي على سفينة (مافي مرمرة) التركية، التي كانت متجهة صوب قطاع غزة في المياه الدولية في مايو – أيار عام 2010، مما أدى إلى سقوط تسعة قتلى أتراك وإصابة آخرين على ظهر السفينة . لقد أضفى الاعتداء على سفينة مرمرة والحروب المتتالية التي شنتها إسرائيل على غزة، إلى تردي العلاقة التركية الاسرائيلية وإلى حد القطيعة وسحب السفراء من قبل الطرفين عام 2011، وقد وضعت الحكومة التركية برئاسة رجب طيب أردوغان شروطا محددة لعودة العلاقة مع دولة إسرائيل إلى سابق عهدها وهي كالتالي:

- أولا: أن تقوم الحكومة الاسرائيلية بالاعتذار لتركيا على عدوانها على سفينة مرمرة .
- ثانيا: أن تتعهد بتعويض أسر القتلى الأتراك الذين سقطوا على متن السفينة.
- ثالثا: أن تقوم الحكومة الاسرائيلية برفع الحصار عن قطاع غزة.

أهمية الدراسة: تسعى هذه الدراسة الى فهم السياق الذي أدى الى توتر العلاقات التركية الإسرائيلية ووصولها إلى حد القطيعة من جانب، والاعتبارات التي أدت من الجانب الآخر إلى وصول البلدين إلى تسوية وإعادة

استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما. وتتناول هذه الدراسة للمرحلة الزمنية الممتدة ما بين عامي 2006 والذي فُرض فيه الحصار، و2016 وهو العام الذي تم التوصل فيه إلى اتفاقية لإعادة وتطبيع العلاقات التركية الإسرائيلية. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الكيفي، وذلك عبر جمع المعلومات من مصادرها الأولية والثانوية المستقاة من الكتب والمواقع الالكترونية، سواء الصادرة باللغة العربية أو الانجليزية أو العبرية أو التركية. أما في الإطار النظري فقد تم توظيف النظرية الواقعية (Realism) والتي تعتبر بأن العلاقة بين الدول يحكمها السعي إلى تحقيق المصالح وتراكم القوة، فلا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة بل هناك مصالح دائمة تحكم الدول وتفسر سلوكها وسياساتها الخارجية.

ظلال ثقيلة

منذ صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم عام 2002 كانت الساحة الفلسطينية تعيش تحت وطأة تصعيد إسرائيلي كبير ضد الشعب الفلسطيني، حيث شكل هذا التصعيد تحديا واضحا لدى الحكومة التركية الجديدة والتي قامت بدورها بمراجعات جذرية للسياسة الخارجية حيال إسرائيل، إحدى إفرازات هذه المراجعة، بدت واضحة في شهر تموز 2003 بعد أن سارعت الحكومة التركية الجديدة بقيادة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان بإصدار قرار تجميد جميع عمليات التنسيق والتشاور مع الإسرائيليين في مجال الاستخبارات، ثم إلغاء مناقصات وعقود كانت قد أبرمتها مع الصناعات الحربية الإسرائيلية حول تحديث طائرات ودبابات تركية، إضافة إلى عقود الشراء والشراكة في تصنيع طائرات إسرائيلية قدرت قيمتها بحوالي 20 مليار دولار، فضلا عن صفقات أخرى في مجال الأقمار الصناعية وصفقة لشراء اثنتي عشرة طائرة تجسس من دون طيار من طراز "هيرون" بتكلفة 183 مليون دولار، كانت قد تعاقدت عليها تركيا مع الصناعات الجوية الإسرائيلية، إضافة إلى ذلك إرجاء المناورات العسكرية الجوية السنوية المشتركة التي يطلق عليها اسم "نسر الأناضول".[1]

الموقف التركي تجاه إسرائيل أصبح محكوماً من وجهة نظر حكومة العدالة والتنمية بما تمارسه إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، وقد تعزز هذا الموقف نتيجة للسياسات الإسرائيلية المطردة في قمع الشعب الفلسطيني، وبدأ هذا الموقف واضحا بعد قيام القوات الإسرائيلية في 22 اذار 2004 من اغتيال الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، حيث أصدرت وزاره الشئون الخارجية التركية بيانا اعتبرت فيه أن هذا الاغتيال لن يعزز أمن إسرائيل، بينما حذر الرئيس أردوغان بأن هذا الاغتيال: "سيرفع ضغط الدم في المنطقة" معتبراً بأن هذا الحدث سيؤثر سلبا على العلاقات التركية الإسرائيلية". أما على المستوى الشعبي فقد أقيمت صلاة الجنازة على الشيخ أحمد ياسين في مسجد الفاتح في إسطنبول وقد شارك فيها 3000 مصلي.[2]

أما بعد اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي نائب الشيخ أحمد ياسين والذي اغتيل في 17 نيسان 2004، فقد وصف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ما تقوم به إسرائيل في الأراضي المحتلة بإرهاب دولة، وبأنها بهذا الاغتيال قد ألقت قنبلة على عملية السلام الجارية في منطقة الشرق الأوسط أيضاً.[3] وفي ذات السياق رفض أردوغان مقابلة نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي ليهود أولمرت الذي زار أنقرة في 13 تموز 2004، بينما استقبل أردوغان في نفس اليوم رئيس الحكومة السورية ناجي العطري وصرح حينها أردوغان بأن: *"هناك أطفال يرشقون بالحجارة وإسرائيليون يطلقون الصواريخ، فإن كان الأطفال إرهابيين فكيف نصف من يطلقون النار من المروحيات، إنها دولة إرهابية"*.[4]

انفراج مؤقت

حالة الشد والتوتر في العلاقة ما بين البلدين نتيجة السياسات الإسرائيلية، قد دخلت في عام 2005 حالة من الارتخاء والانفراج، وذلك على ضوء إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون عن خطته الأحادية للانسحاب من قطاع غزة، وذلك في محاولة منه للهروب من استحقاقات خطة "خارطة الطريق" التي أقرتها الرباعية الدولية المتشكلة من الولايات المتحدة الامريكية وروسيا والاتحاد الأوروبي وهيئة الأمم المتحدة. إلا أنه وعلى الرغم من الشكوك والانتقادات على الخطة الاسرائيلية فقد سادت في منطقة الشرق الأوسط أجواءً إيجابية انعكست بشكل مباشر على علاقات دول الجوار بدولة إسرائيل ومنها تركيا. ففي اذار 2005 قام وزير الخارجية التركي عبد الله غول في أول زيارة له إلى إسرائيل، كذلك فقد تبعه في 1 أيار من نفس العام رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الذي أجرى لقاءً مع رئيس الحكومة الإسرائيلي ارئيل شارون واستمع منه حول تفاصيل خطة الانسحاب الإسرائيلية.[5] فيما أبدى رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون استعداد بلاده بأن تلعب تركيا دوراً في إنعاش عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط.[6]

تكدر الأجواء

الأجواء الايجابية التي انعكست عن فكرة الانسحاب من قطاع غزة، لم تستمر سوى أشهر معدودة وسرعان ما انحسرت نتيجة لبروز مجموعة من التطورات والأحداث في منطقة الشرق الأوسط، والتي تمثلت بثلاثة تطورات مركزية وهي:

أولا: دخول رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون في 18 كانون ثاني 2006 في حالة غيبوبة نتيجة إصابته بجلطة دماغية، حيث تم نقل صلاحياته وبشكل فوري إلى القائم بأعماله إيهود أولمرت.[7] فيما أوقفت الحكومة الإسرائيلية من إجراءات الانسحاب من المناطق الفلسطينية التي كان ينوي ارئيل شارون الاستمرار

بها، وانشغلت الحكومة في أجندات داخلية جديدة، من أجل الترتيب لخلافة منصب رئيس الوزراء الفاقد للوعي ارئيل شارون والدعوة لانتخابات مبكرة جديدة.

ثانيا: بروز حركة المقاومة الإسلامية حماس كلاعب أساسي ومؤثر في توازن القوى الفلسطيني الداخلي، بعد فوزها في الانتخابات البرلمانية التي جرت في الأراضي الفلسطينية في 25 كانون ثاني 2006، وحصولها على 74 مقعداً مقابل حصول حركة فتح على 45 مقعدا من مقاعد المجلس التشريعي البالغة 132 مقعدا، الأمر الذي كانت له دلالات كثيرة على صعيد الموقف الفلسطيني الرسمي، وتعقيدات على عملية التسوية في الشرق الأوسط ومفاوضات السلام مع إسرائيل.[8]

ثالثا: تدهور الأوضاع الأمنية وعلو صوت المدافع على صوت المفاوضات والمبادرات السياسية، وذلك بعد التصعيد العسكري الذي أدى إلى دخول إسرائيل الحرب في الجنوب أولا ثم الحرب في الشمال. أما في الجنوب فكانت على الحدود ما بين قطاع غزة وإسرائيل، نتيجة للعملية العسكرية التي قامت بها حركة حماس في 25 حزيران 2006 باستهداف موقع عسكري وأسر أحد الجنود الإسرائيليين (جلعاد شاليط)، الأمر الذي أدى –بعد انتهاء المهلة التي أعطتها حكومة إسرائيل لحركة حماس من أجل تسليم الجندي الإسرائيلي الأسير والتي رفضتها حركة حماس– إلى إطلاق الحكومة الاسرائيلية حملة عسكرية ضد قطاع غرة أطلقت عليها اسم "أمطار الصيف".[9] أما شمالا فقد أقدم حزب الله اللبناني في 12 تموز 2006 على تنفيذ عملية عسكرية ضد القوات الإسرائيلية المرابطة في المنطقة الحدودية ما بين إسرائيل وجنوب لبنان، واستطاع خلال العملية من أسر جنديين إسرائيليين، الامر الذي أدى إلى ردة فعل قاسية من قبل الحكومة الإسرائيلية والتي أعلنت الحرب على لبنان.[10]

الرد التركي على هذه التطورات السياسية كان إيجابيا من جانب، وحاداً من الجانب الاخر. أما ما يتعلق بالجانب الإيجابي، فقد باركت الحكومة التركية نتائج انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني التي أدت إلى فوز حركة حماس، وأبدت كذلك الاستعداد للتعاون مع حركة حماس على الرغم من ممارستها للعنف الذي تصفه إسرائيل بـ"الإرهاب".[11] ودعت كافة الأطراف إلى احترام هذه النتائج والتعامل معها، الأمر الذي أدى إلى انزعاج الحكومة الإسرائيلية من هذا الموقف وعودة التوتر بين الحكومتين، حيث إن الحكومة الإسرائيلية تعتبر حركة حماس "حركة إرهابية"، وأن أيدي قادتها ملطخة بالدماء الإسرائيلية، لذلك ترى إسرائيل ضرورة عدم منحها الشرعية السياسية، وقد نجحت الحكومة الإسرائيلية فعلا في إقناع المجتمع الدولي بفرض مقاطعة على حركة حماس، ومن ثم فرض حصار على قطاع غزة.

بالمقابل فإن العلاقة ما بين حركة حماس وحزب العدالة والتنمية من جانب، وحركة حماس والحكومة التركية من الجانب الآخر بدأت بالتمدد، فبعد أقل من شهر على فوز حركة حماس في الانتخابات وفي 16

شباط 2006 فقد استقبل وزير الخارجية التركي عبد الله غول في أنقرة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل وأربعة من مرافقيه.[12]

أما الموقف الحاد من قبل الحكومة التركية على التطورات السياسية التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط فقد كانت نتيجة الحروب والتصعيد الإسرائيلي في قطاع غزة وفي جنوب لبنان، حيث أدانت الحكومة التركية وبشكل مستمر التصعيد العسكري الغير مبرر التي تقوم به القوات الإسرائيلية، واستخدامها المفرط للقوة العسكرية ضد الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني على حد سواء. أما في البرلمان التركي فقد قدم 25 نائباً استقالتهم من لجنة الصداقة التركية الإسرائيلية، التي تضم 263 من أصل 550 نائبا في مجلس النواب التركي احتجاجا على الحرب التي تشنها إسرائيل في الاراضي الفلسطينية وفي لبنان، منهم 17 ينتمون إلى حزب العدالة والتنمية، بينما ينتمي النواب الاخرون من حزب الشعب الجمهوري وحزب الوطن الأم.[13]

العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة

قبل العدوان الاسرائيلي على قطاع غزة في 27 كانون الأول من العام 2008، بأربعة أيام قام رئيس الوزراء الاسرائيلي أولمرت بزيارة لتركيا التقى خلالها برئيس الوزراء التركي أردوغان، وقد تعهد اولمرت خلال هذه الزيارة باللجوء إلى الحلول السلمية فيما يتعلق بقطاع غزة، وأن حكومته لن تُعكر أجواء الاستقرار النسبي الذي كان قائما في القطاع، ودار الحديث أيضا حول إمكانية إطلاق وساطة تركية بين حماس وإسرائيل من أجل التوصل إلى تهدئة.

هذا العدوان الإسرائيلي قد ترك تداعيات خطيرة في العلاقة ما بين تركيا وإسرائيل، حيث سارعت الحكومة التركية بالرد على الهجوم الإسرائيلي بالإدانة وكثير من الغضب الغير مسبوق، حيث اعتبر أردوغان هذا الهجوم يُشكل خديعة إسرائيلية وإهانة صريحة لتركيا، فقد بدا كأن هذا الهجوم قد تم بعلم تركيا المسبق، واعتبر أيضا بان الحكومة الإسرائيلية قد تعمدت عدم احترام الحكومة التركية من خلال نكث الرئيس الإسرائيلي لوعده. وقد تتالت ردود أردوغان الغاضبة من الهجوم الاسرائيلي على المدنيين واصفاً إسرائيل بدولة إرهابية، ووصف ما تقوم به كجريمة ضد الإنسانية.[14] وقد أعلن بأنه: *"من الآن فصاعداً ليس هناك جدوى من القيام بمساع دبلوماسية مع إسرائيل من أجل السلام"* ، وحمّل بشكل واضح المسؤولية لإسرائيل عن وصول الوضع إلى ما هو عليه الآن، لأنها الطرف الذي لم يلتزم بالتهدئة ولأن الحكومة الإسرائيلية قد رفضت عرضاً تركياً للوساطة مع حماس في الأيام الأخيرة.[15]

ومن أجل الضغط على حكومة إسرائيل لإنهاء الحرب على غزة، فقد أعلن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في كانون الثاني 2009، بأنه لن يجري أي اتصال مع أي مسؤول إسرائيلي إلا بعد أن تَصدُر عن إسرائيل إشارة فعلية على قبولها بوقف إطلاق النار.[16]

تصعيد اعلامي: دافوس، مزراحي ووادي الذئاب

بعد أسابيع معدودة من الاتفاق على وقف إطلاق النار في قطاع غزة، فقد انعقد في 29 كانون ثاني 2009 في مدينة دافوس السويسرية منتدى الاقتصاد العالمي الذي شاركت فيه تركيا. وعبر لقاء حواري جمع ما بين رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الإسرائيلي شمعون بيرس والأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى، فقد استعمل شمعون بيرس صوته الجهوري لشرح معاناة بلاده من حركة المقاومة الإسلامية حماس، واستعمل نبرة مأساوية عندما وصفها بأنها تشكل رعباً لملايين النساء والأطفال في إسرائيل وما تسببه لهم صواريخ حماس من هلع ورعب. أما كلمته التي ركز عليها فقد كانت بعدم قبوله لحماس لأنها *"تريد تدمير إسرائيل وتكره اليهود فكان لابد من تلقينها درسا مثل الذي أخذه حزب الله في لبنان عام* 2006"، وكان لافتا للنظر أن القاعة قد ضجت بالتصفيق الحار للرئيس الإسرائيلي، وقد استغل أردوغان الوقت المسموح له ليؤكد ضرورة النظر إلى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بخلفياته وأبعاده، مشيرا إلى عدم قيام إسرائيل بالتزاماتها وأنها ضيقت الحصار على الفلسطينيين بشكل خانق.[17]

أما شمعون بيرس فقد تجاهل الإجابة عن كافة الأسئلة التي أثارها أردوغان، في ختام الندوة وبينما أعطى مدير الندوة الكلمة الأخيرة لبيرس، فقد قاطع أردوغان كلام مدير الندوة بعبارته المشهورة (One minute) لتكون له الكلمة الأخيرة موجها الكلام إلى شمعون بيرس قائلاً:

> يا سيد بيرس أنت أكبر مني في العمر لكن صوتك كان مرتفعا كثيرا. أنا أعرف أن ارتفاعه بهذا الشكل هو تعبير عن نفسية مُتهم، وفيما يخص القتل فأنت تعرفه جيداً جداً، وأنا أعرف جيداً كيف قتلتم الأطفال عند الشاطئ، ويوجد رؤساء عندكم يتباهون بأنهم يشعرون بالفرح عندما تدخل الدبابات إلى غزة. وأنا أعيب على من يصفقون لهذه المظالم.

وبالرغم من محاولة مدير الندوة إسكاته ومنعه من مواصلة كلامه ختم أردوغان بالقول:

> بالنسبة لي انتهى دافوس ولن أعود مرة أخرى، لقد تكلم بان كي مون 6 دقائق وتكلمت أنا 12 دقيقة، وعندما وصل عمرو موسى إلى الدقيقة العاشرة أوقفه مدير الندوة عن الاستمرار في الكلام، أما بيرس فقد تكلم 25 دقيقة دون تدخل من مدير الندوة.

وبعد أن سجل أردوغان هذا الموقف ترك مقعده مغادراً الندوة، وصرح للصحافيين خارج القاعة بالقول: *"لقد كانت اجتماعات دافوس غير عادلة، أنا رأسي مرن ولكني لست خروفاً وديعاً"*.[18]

بعد حادثة منتدى دافوس بأيام معدودة أدلى قائد القوات البرية في الجيش الإسرائيلي آفي مزراحي، عبر مقابلة أجرتها معه صحيفة هآرتس الإسرائيلية في 10 شباط 2009، تصريحا رد فيه على أردوغان

بمطالبته من أردوغان بأن *"ينظر على نفسه بالمرآة"* داعيا تركيا إيقاف احتلالها لشمال قبرص واضطهادها للأقلية الكردية في جنوب تركيا، وكذلك بأن تعترف بالمجازر التي قامت بها ضد الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى.[19] رداً على هذه التصريحات فقد جاء الرد الأعنف والأول من نوعه من قبل المؤسسة العسكرية التركية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق التدهور الذي آلت اليه العلاقة بين البلدين، خصوصا بعد أن طالت تصريحات رئيس الأركان الإسرائيلي مزراحي ثوابت وطنية تتعلق بالمصالح القومية لتركيا في قبرص ومكافحة حزب العمال الكردستاني التي تصنفه المؤسسة العسكرية كجماعة إرهابية. وقد جاء على لسان رئاسة الأركان التركية بأن تصريحات مزراحي: *" تُحرِف الحقائق وتتجاوز مقاصدها وسيئة، ولا يُمكن قبولها بأي شكل، ولا تليق بالمسؤوليات التي يشغلها مُطلقها، والأهم أنها تعابير قد تُلحق الضرر بالمصالح القومية بين البلدين"* .[20]

من جانب آخر فقد قامت وزارة الخارجية التركية باستدعاء السفير الإسرائيلي في أنقرة لاستيضاح هذه التصريحات. فيما أصدرت بيان جاء فيه:

> تم اليوم استدعاء السفير الإسرائيلي في أنقرة غابرئيل ليفي، بسبب التصريحات التي أدلى بها قائد القوات البرية الإسرائيلي آفي مزراحي في العاشر من شهر فبراير 2009. وقد تم تسليم مذكرة احتجاج تتضمن استنكار التصريحات المغايرة للواقع والحقائق التاريخية والمغالطات التي جرت بحق دولة رئيس الوزراء، كما تم التأكيد على افتقار هذه التصريحات لأية أرضية وعدم إمكان قبولها وتم طلب التوضيحات العاجلة من الحكومة الإسرائيلية بهذا الصدد.[21]

على ضوء هذه الردود التركية الصارمة، فقد بدأ الجانب الإسرائيلي يشعر بالقلق، وخاصة فيما يتعلق بمتانة صداقته مع المؤسسة العسكرية والتي وقفت بشكل صريح الى جانب الحكومة التركية ورئيسها أردوغان، لذلك فقد كان الرد الإسرائيلي سريعاً حيث صرح أحد مستشاري وزير الدفاع الإسرائيلي: *"قررنا بأن نهدأ الأجواء نتيجة تصريحات مزراحي لأن موضوع العلاقة مع تركيا كبير الحساسية، ولا نريد أن نسبب لتركيا أي ضرر"* .[22] بعد ذلك فقد استدعى رئيس أركان الجيش الإسرائيلي غابي اشكنازي رئيس القوات البرية مزراحي وقدم له اللوم على التصريحات التي أدلى بها، فيما صرح الناطق باسم الجيش الإسرائيلي للصحافة بأن ما صدر عن مزراحي لا يُمثل رأي الجيش الإسرائيلي ولا تُلزمه، وهي تصريحات شخصية.[23]

ومن الجدير ذكره بأن البعد الإعلامي قد كان حاضراً بشكل واضح، ولا يمكن فصله عن تطور الاحداث في الحلبة السياسية، حيث أن عبارات أردوغان مثل: *" جريمة بحق الإنسانية"* ، *"قادة إسرائيل لن يفلتوا من محكمة التاريخ"* ، *"إسرائيل ستغرق في دموع أطفال غزة"* ، *"إسرائيل دولة إرهاب"* وغيرها من العبارات قد تم تداولها من خلال الخطاب الإعلامي للمتحدثين الإعلاميين في البرامج التلفزيونية المختلفة،

علاوة على أنها أصبحت الخبز اليومي لبعض كُتاب السيناريو والأعمال الدرامية، التي أصبحت في مضامينها وإخراجها الفني تُقدم إسرائيل للمشاهد التركي بالصورة الإجرامية، من هذه الأعمال التلفزيونية التركي برز مسلسل "الوداع" ومسلسل "وادي الذئاب"، واللذان لاقى رواجا كبيرا لدى المشاهد التركي ابتداءً من عام 2009، حيث تُظهر هذا المسلسلات الدرامية الجنود الإسرائيليين بأنهم قتلة أطفال. وقد تم عرض هذه المسلسلات على القناة الفضائية الأولى في التلفزيون التركي العام (TRT1).

وبينما استمرت القناة في عرضها لمسلسلها "وادي الذئاب"، لم تتوقف وزارة الخارجية الإسرائيلية في التعبير عن غضبها الشديد، ففي 11 كانون الثاني أثار تصرف (داني ايالون) نائب وزير الخارجية الإسرائيلي عاصفة كبيرة، بعد استدعائه للسفير التركي في تل أبيب أحمد أوغوز جليك قول، وإدخال وسائل الإعلام إلى الغرفة التي تم فيها اللقاء، وقد تعمد منظمو اللقاء أن يجلس أيلون على كرسي مرتفع بينما يجلس السفير التركي على كرسي منخفض، وعندما طلب أحد الصحافيين من أيلون أن يَمد يده ليصافح السفير التركي رفض أيلون ذلك، مجيباً عليه باللغة العبرية: *"المبدأ هو أن يُرى السفير جالساً على كرسي منخفض ونحن على كرسي مرتفع، وأن لا يكون في الغرفة سوى علم واحد وهو علم إسرائيل، وأنت ترى بأننا لا نبتسم في هذا اللقاء"* ، بعد ذلك توجه للسفير التركي مخاطباً إياه باللغة الإنجليزية: *"مع الأسف هناك شيء يثير قلقنا وهو ما سنتحدث عنه بعيدا عن الصحافة، لأني حريص على أن يبقى الأمر سرياً"* .[24]

هذه الطريقة في التعامل مع السفير التركي أثارت غضباً عارماً لدى كافة الأوساط السياسية التركية، والتي اعتبرت ما قامت به وزارة الخارجية الإسرائيلية من إجلاس السفير التركي على "كرسي منخفض" إهانة متعمدة لتركيا ومخالفة لكافة الأعراف الدبلوماسية، لذلك فقد استدعت وزارة الخارجية التركية بعد الحادثة مباشرة السفير الإسرائيلي في أنقرة، فيما أصدرت في اليوم التالي بياناً حاداً طالبت فيه الحكومة الإسرائيلية الاعتذار عن الحادثة. إلا أن الحكومة الإسرائيلية قد رفضت في البداية إبداء الاعتذار عن الحادثة، عندها أرسلت الحكومة التركية إنذارا آخر بسحب سفيرها من تل أبيب فورا إذا لم تقدم الحكومة الإسرائيلية الاعتذار المطلوب. إلا أن الحكومة الإسرائيلية قد اكتفت بإرسال رسالة عبر سفيرها في أنقرة إلى وزارة الخارجية التركية، ورسالة خطية من نائب وزير الخارجية الإسرائيلي داني ايالون إلى السفير التركي في تل أبيب أحمد أوغوز جليك، وقد جاء في الرسالة:

> أتقدم باحترامي إلى شخصكم والشعب التركي ورغم اختلاف مواقفنا في مواضيع مختلفة، فإنني أود التأكيد بأن هذه المسائل يجب أن تُحل بين حكومتينا بشكل واضح وصريح وضمن الاحترام المتبادل. لم يكن في تفكيري إطلاقا الاساءة إلى شخصكم، وأعتذر لطريقة تناولي للموضوع وما سببه من تساؤلات، وأرجو إبلاغ ذلك إلى الشعب التركي الذي نكن له أكبر قدر من الاحترام.[25]

بعد استلام هذه الرسالة من قبل وزارة الخارجية التركية في أنقرة وسفيرها في تل أبيب فقد استدعت وزارة الخارجية التركية سفيرها أحمد أوغوز جليك إلى أنقرة للتشاور، معتبرة بأن رسالة الاعتذار التي استلمتها غير كافية، واعتبرت أن إعادة السفير التركي إلى تل ابيب مرة أخرى يخضع لطريقة إدارة الحكومة الإسرائيلية لسياساتها في المرحلة المقبلة.[26]

"مافي مرمرة" ونقطة الإنهيار

استمرار معاناة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة بفعل الحصار البري والبحري والجوي الطويل والعدوان الإسرائيلي المتكرر من جانب، والعناد الإسرائيلي في الاصغاء للخطاب الشعبي والرسمي في تركيا وفي بعض بلدان دول العالم المطالب بفك الحصار عن قطاع غزة من الجانب الآخر، ساهما في ابتكار نوع جديد من أنواع التضامن مع قطاع غزة، وذلك بمبادرة من اللجنة الدولية لكسر الحصار عن قطاع غزة، والتي كانت واحدة من خمس مؤسسات شكلت في مجموعها عام 2009 "تحالف أسطول الحرية"، وكان أول مشاريع هذا التحالف انطلاق عدة سفن من عدة موانئ لدول مختلفة في جنوب أوروبا وتركيا، وكانت نقطة التقائها قبالة مدينة ليماسول في جنوب قبرص، قبل أن تتوجه مباشرة باتجاه سواحل قطاع غزة. وقد كان هدف هذا الأسطول توصيل المساعدات الإغاثية إلى قطاع غزة من جانب، وتحشيد طاقات أحرار العالم ونشطاء حقوق الانسان والمتضامنين الدوليين لممارسة أكبر ضغط ممكن على إسرائيل بطريقة سلمية من أجل كسر الحصار، وإحراجها أمام الرأي العام العالمي والانحياز إلى جانب الحقوق الفلسطينية.

لذلك فقد سعت الحكومة الإسرائيلية بدعم أمريكي إلى منع انطلاق سفن كسر الحصار من الموانئ المختلفة، وخصوصاً اليونانية والقبرصية، وقد وجد ذلك تجاوباً من هذه البلدان التي لا تسعى لتأزيم علاقاتها بإسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، إلا أن الحكومة التركية لم تمنع هذه السفن من استخدام موانئها للإبحار نحو قطاع غزة. ففي 22 أيار 2010 وعلى أحد سواحل إسطنبول فقد جرت احتفالية كبيرة، قام على تنظيمها عدة منظمات دولية كان على رأسها هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الانسان التركية "İHH" وحركة "غزة الحرة" العالمية، وقد جاءت الاحتفالية إيذاناً بانطلاق سفينة "مافي مرمرة" ضمن نحو ستة سفن أقلت نحو 750 نشاطاً من 37 دولة حول العالم من ضمنهم أكثر من 15 برلمانياً وأكثر من 60 صحفياً دولياً، بالإضافة إلى فنانين وناشطين حائزين على جوائز نوبل للسلام. وقُدّرت حمولتها بنحو عشرة آلاف طن من مواد الإغاثة والمساعدات الإنسانية. أما الحكومة الإسرائيلية فقد هددت سفن أسطول الحرية وتوعدت بمنعهم من الوصول إلى سواحل قطاع غزة، إلا أن هذه التهديدات لم تثن المتضامنين من الوصول إلى غايتهم المنشودة.[27]

وفي الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم 31 أيار 2010 قامت القوات الإسرائيلية بتنفيذ وعيدها، حيث قامت بإرسال قواتها البحرية لمحاصرة الأسطول فسيطرت هذه القوات على خمسة من السفن بدون مقاومه، أما سفينة "مافي مرمرة" فقد رفض قبطان السفينة الانصياع لأوامر القوات الخاصة، فقامت القوات الإسرائيلية بإرسال وحدة "متسادا" الخاصة والمشهورة بقمع الأسرى الفلسطينيين.[28] وقد تم اعتراض السفينة وهي في المياه الدولية (على بعد قرابة 72 ميل من الشواطئ الفلسطينية على البحر الأبيض المتوسط)، وقامت القوة الخاصة بعملية إنزال على ظهر السفينة وقد أطلقت نيرانها الحية إضافة الى القنابل الغازية والصوتية تجاه المتضامنين مما أدى إلى سقوط 9 قتلى وإصابة 56 آخرين من الركاب المتضامين. بعد الانتهاء من مهمة السيطرة على السفينة قامت قوات البحرية الاسرائيلية باصطحاب السفينة إلى ميناء أسدود الإسرائيلي، ومن ثم اعتقال كافة ركاب السفينة والتحقيق معهم في السجون الاسرائيلية.[29]

بعد الحادثة وعلى الفور فقد وصفت وسائل الإعلام التركية ما جرى بالمجزرة، واعتبرت بأن إسرائيل قد تعمدت في توجيه رسالة دموية للشعب التركي، ووصفت مجموعة كبيرة من النخب التركية الحادثة بأنها عدوان لا يُغتفر ضد الأمة التركية بأسرها، وطالبت بإجراء تحقيق دولي لا يَدع لإسرائيل أن تفلت من العقاب. أما بعد الحادثة بيوم واحد فقد أدى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان خطاباً أمام البرلمان التركي جاء فيه:

> إخوتي الأعزاء... اليوم يوم جديد، ومنذ هذا اليوم من الواضح تماما أنه لا شيء يمكن أن يستمر على حاله... أقول مرة أخرى ولو سكت الكل وأغمض عينيه وأدار ظهره، فإننا في تركيا لن ندير ظهورنا للفلسطينيين وللشعب الفلسطيني ولغزة ولن نغمض عيوننا وسنواصل رفع صوتنا عاليا من أجل غزة... مرة أخرى وبهذه المناسبة نقول: يجب على إسرائيل أن ترفع فوراً الحصار غير الإنساني على غزة. يجب ألا تكون عائقا أمام وصول المساعدات الإنسانية المرسلة إلى الشعب الفلسطيني... وأخيراً على الحكومة الإسرائيلية أن تُسلم المصابين وجثث الشهداء ومتطوعي المساعدات الخيرية إلى تركيا في أقرب وقت ممكن. إن اتخاذ أي موقف سلبي في هذا الأمر سيعمق المشكلة وسيؤدي إلى أضرار كبيرة.[30]

أما من الجانب الدبلوماسي فقد جرت مكالمة هاتفية استمرت نحو ساعة وعشر دقائق، بين رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الأمريكي براك أوباما تناولا فيها ملابسات الحادثة، جاء بعدها قرار الحكومة الإسرائيلية إطلاق السفن المحتجزة في موانئها، ومن ثم إطلاق سراح ركابها الذي قامت القوات الإسرائيلية باحتجازهم في سجونها.[31]

"لجنة بالمر" لتقصي الحقائق

على ضوء الأجواء المشحونة بإصرار كل من الجانبين التركي والإسرائيلي على موقفيهما حيال حادثة سفينة "مافي مرمرة"، فقد أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون في 2 آب 2010 عن تشكيل لجنة تحقيق دولية، برئاسة رئيس وزراء نيوزيلندا السابق جيفري بالمر وتضم أربعة أعضاء بينهم تركي وإسرائيلي. بعد تشكيل هذه اللجنة أبدت وزارة الخارجية التركية ترحيبها بهذه اللجنة وأعلنت عن استعداداها للتعاون معها.[32] وأثناء عمل "لجنة بالمر" فقد جرت مفاوضات بين تركيا وإسرائيل بتشجيع من الإدارة الأميركية، من أجل التوصل إلى حل متفق عليه للأزمة بين الدولتين. وقد أجلت "لجنة بالمر" تقديم تقريرها للأمين العام للأمم المتحدة ثلاث مرات، من أجل منح فرصة لكل من إسرائيل وتركيا لاستكمال مفاوضاتهما الثنائية والتوصل إلى حل متفق عليه للأزمة بين الدولتين، بيد أن المفاوضات بين الدولتين باءت بالفشل بسبب رفض إسرائيل تقديم الاعتذار لتركيا.

وبعد قرابة عام من تشكيلها وقبيل إعلان تقرير اللجنة بعدة أيام فقد طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو من الأمين العام للأمم المتحدة ومن الحكومة التركية أيضاً إرجاء الإعلان عن التقرير لمدة ستة أشهر أخرى، إلا أن طلبه هذا قد قوبل بالرفض الشديد من قبل الحكومة التركية الذي اعتبرته محاولة لكسب الوقت والتملص من تنفيذ المطالب التركية.[33] وقبل موعد إعلان التقرير فقد وصلت بعض التسريبات إلى وسائل الإعلام، حيث نشرت كبرى الصحف الأمريكية نيويورك تايمز الأمريكية في مطلع أيلول 2011 مقتطفات من تقرير اللجنة، والذي جاء فيه بأن: قرار اسرائيل بالسيطرة على السفن بمثل هذه القوة وفي عرض البحر وبدون تحذير مسبق قبل عملية الانزال كان مفرطا ومبالغا فيه، بالمقابل فقد وجه التقرير المسرب اللوم على منظمي الأسطول البحري باعتبار ما أقدموا عليه يُعد تهوراً في محاولة لفك الحصار عن قطاع غزة. وقد دعا التقرير الحكومة الإسرائيلية إلى إصدار اعلان مناسب تبدي فيه عن أسفها حيال الهجوم، وتقوم بدفع تعويضات لعائلات ثمانية أتراك وأمريكي من أصل تركي قتلوا أثناء هذا الهجوم. وأوصى التقرير البلدين تركيا وإسرائيل إلى ضرورة استئناف علاقاتهما الدبلوماسية لصالح الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط.[34]

الشروط التركية لإعادة العلاقات مع إسرائيل

بعد إعلان "لجنة بالمر" عن تقريرها حول حادثة "مافي مرمرة" وعلى عكس ما كانت تأمل به الأمم المتحدة، فقد تفاقمت الأزمة بين البلدين بعد الكشف عن هذه التسريبات، حيث اتهم وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو إسرائيل بعد مؤتمر صحفي عقده في وزارة الخارجية التركية، بعرقلة التحقيق ومن ثم تسريب التقرير عبر الصحافة، كذلك اعتبر بأن نتائج التقرير غير مرضِية مشددا على أن الجريمة الاسرائيلية ليست

جريمة بسيطة، وأنه لا يمكن القبول بوجود دولة فوق القانون، لذلك فقد أعلن بأن بلاده: *"قد طلبت من السفير الإسرائيلي مغادرة أراضيها، وقررت تخفيض التمثيل الدبلوماسي إلى مستوى السكرتير الثاني وكذلك تعليق جميع اتفاقياتها العسكرية مع إسرائيل"*، وأضاف في تصريحه أيضا بأن: الحكومة التركية قد وضعت ثلاثة شروط من أجل إعادة العلاقات إلى سابق عهدها مع إسرائيل:

> كما تعلمون جميعًا فقد طلبنا من الحكومة الإسرائيلية أن تعتذر رسميًا عن هذا الهجوم، وأن تدفع تعويضًا لعائلات وأقارب المدنيين الضحايا، كما أكدنا على ضرورة رفع الحصار المفروض على غزة.[35]

البحث عن مخرج والاعتذار الإسرائيلي

بعد تدهور العلاقات بين تركيا وإسرائيل في اعقاب حادثة "مافي مرمرة"، فقد بذلت الإدارة الأميركية جهدا من أجل إنهاء هذه الأزمة، واعتبرت الإدارة الأميركية أن الأزمة القائمة بين أهم حليفين لها في المنطقة تضر بالمصالح الأميركية، لذلك فقد كانت تدور من وراء الكواليس مباحثات دبلوماسية من أجل تجاوز الأزمة والبحث عن مخرج. في هذا المسعى فقد بذل الرئيس الأمريكي باراك أوباما جهوداً كبيرة في إقناع رئيس الوزراء الإسرائيلي من أجل تقديم الاعتذار للحكومة التركية. وفي 22 آذار 2013 نجحت هذه المساعي في الوصول إلى الانفراج المطلوب في العلاقات ما بين البلدين، وكان الاعتذار دراماتياً بعد أن أجريت مكالمة هاتفية ثلاثية ما بين رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو ورئيس الوزراء التركي أردوغان أولاً، بعد ذلك أعطى نتنياهو الهاتف للرئيس الأميركي باراك أوباما، واستمر الاتصال ما بين عشرين إلى ثلاثين دقيقة. خلال هذه المكالمة فقد قدم رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو الاعتذار للرئيس التركي أردوغان، كذلك فقد تم الاتفاق على صياغة بيان مشترك بهذا الشأن.[36]

اعتبارات داخلية وخارجية حاكمة

مع اقتراب موعد الانتخابات في كلا البلدين خلال عام 2015، فقد كانت الاتصالات بين البلدين بطيئة نسبياً ومحكومة باعتبارات حزبية داخلية. وقد جاءت الجولات اللاحقة من المفاوضات بين البلدين بعد كبوة حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية، التي جرت في حزيران 2015، حيث إنه وبالرغم من فوزه في الانتخابات إلا أنه لم يستطع من تشكيل الحكومة بمفرده. أما الاعتبار الخارجي فقد تمثل بدخول العلاقات التركية الروسية في 24 تشرين الثاني 2015 منعطفاً حاداً وخطيراً، على إثر الحادثة الذي أسقطت فيها إحدى مقاتلات القوات الجوية التركية طائرة روسية من نوع "سيخوي"، في المنطقة الحدودية الواقعة ما بين جنوب تركيا وسوريا. وقد أدت هذه الحادثة إلى توتر شديد بين موسكو وأنقرة، حيث وصف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحادثة بـ"طعنة في الظهر".[37]

وهنا يمكن القول بأن حدوث انطلاقة في عملية التفاوض بين الجانبين، قد جاء في سياق ضرورة العمل على إعادة النظر في السياسة الخارجية التركية، في ظل التأزم في العلاقات مع الجارة العظمى روسيا على المستوى الخارجي، والتراجع النسبي الذي عكسته الانتخابات التركية على المستوى الداخلي. على ضوء ذلك فقد أرسل الرئيس التركي أردوغان عدة إشارات اعتبرها المراقبون الإسرائيليون بأنها بداية لذوبان دبلوماسي، وإشارات إيجابية نحو الوصول الى اتفاق تركي إسرائيلي قريب، من هذه الإشارات ما صرح به أردوغان لفريق الصحافيين الذين رافقوه خلال رحلته الى تركمانستان في 14 كانون الأول 2015، حيث قال: *"إن المنطقة بأكملها ستكسب الكثير في حال تم تطبيع العلاقات ما بين تركيا وإسرائيل"*.[38] وقال كذلك مجموعة أخرى من الصحافيين الذين رافقوه في رحلة أخرى إلى السعودية في 2 كانون الثاني 2016 بأن: *"إسرائيل بحاجة إلى بلد مثل تركيا في المنطقة، وعلينا أن نقبل بأننا بحاجة إلى إسرائيل"*.[39]

على ضوء هذه الاعتبارات الداخلية والخارجية فقد جرت المفاوضات بين تركيا واسرائيل على طريقة الدبلوماسية المكوكية، بين فريدون سينيرلي أوغلو مستشار وزارة الخارجية التركية ومبعوث نتنياهو الخاص يوسف تشاحنوفر والقائم بأعمال مستشار الأمن القومي الاسرائيلي يعقوف نيجل.[40] وقد تكللت هذه المفاوضات المكوكية بالنجاح بعد أن توصل الطرفان الى اتفاق لتطبيع العلاقات بينهما في مدينة روما يوم الثلاثاء 28 حزيران 2016، وقد تم التوقيع عليه رسميا من قبل وكيل وزارة الخارجية التركية فيريدون سينيرلي أوغلو في أنقرة، والمدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية دوري غولد في القدس. وبموجب الاتفاق فقد وافقت إسرائيل التي قدمت بالفعل اعتذارها للحكومة التركية، على دفع 20 مليون دولار لأسر الضحايا الاتراك الذين تضرروا في حادثة "مافي مرمرة"، أما الحصار الاسرائيلي على قطاع غزة الذي طالبت الحكومة التركية برفعه فلا يزال نافذا، وأنه يمكن مواصلة نقل المساعدات الانسانية إلى غزة عبر الموانئ الإسرائيلية.[41]

خلاصة

تجلت الواقعية السياسية في السياسة الخارجية التركية حيال التضامن مع قطاع غزة بأبهى صورها، سواءً في تفسير حالة الانحدار والقطيعة بين البلدين، أو بتفسير سعي كل من البلدين في البحث عن مخرج لحل الأزمة وتسوية العلاقات بينهما. وتكاد تميز هذه السياسة مقولة رئيس وزراء بريطانيا الأسبق لورد بالمرستون أنه في سياسة بريطانيا: *"ليس هناك عدو دائم أو صديق دائم، بل هناك مصالح دائمة"*.[42] وقد بدا واضحاً بأن صناع القرار في الحكومة التركية، لا يديرون سياساتهم الخارجية وفق العواطف والانطباعات الشخصية، بقدر ما تمليه عليهم محددات داخلية ومتغيرات خارجية حاكمة، فنجد بأن الحكومة التركية وردا على حادثة مافي مرمرة قد شرعت باتخاذ إجراءات عقلانية ومتدحرجة وفق التطورات التي أعقبت الحادثة، فهي وعلى الرغم من اتهامها للقوات الاسرائيلية بممارستها للجريمة، قد بدأت أولاً بمطالبتها الحكومة الإسرائيلية أن تُسلم

المصابين وجثث الشهداء ومتطوعي المساعدات الخيرية إلى تركيا في أقرب وقت ممكن، بينما لم تقم بطرد السفير الإسرائيلي ووقف الصفقات العسكرية، إلا بعد صدور تقرير "لجنة بالمر" الدولية لتقصي الحقائق. وهذا ما تفسره النظرية الواقعية في العلاقات الدولية بمنطق العقلانية في آلية صناعة القرار. وفي هذا السياق فقد اعتبر عبد الرحمن ديليبك، أحد مستشاري الرئيس التركي أردوغان بأن مصالح تركيا وإسرائيل تقتضيان المحافظة على نقاط التماس بينهما، حيث أشار بأن: *"الدولتان تركيا وإسرائيل لا ترغبان فَقْدْ التواصل (العلاقة) مع بعضهما البعض، لأن هناك ظروف دينية وسياسية واقتصادية ودولية تجعل هذا الأمر إلزامي"*.[43]

كذلك فإن النظرية الواقعية للعلاقات الدولية تساعدنا على فهم تقدير الموقف التركي على ضوء الاعتبارات الداخلية والمتغيرات الدولية، حيث لا يمكن عزل التراجع النسبي الذي وصل اليه حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية لعام 2015 من جهة، وتأزم العلاقات التركية الروسية بعد حادثة إسقاط الطائرة الروسية من الجهة الأخرى على ديناميكيات صناعة القرار التركي، حيث أدركت الحكومة التركية عبر المنطق العقلاني للنظرية الواقعية، بأنها لا تستطيع أن تدير كافة أزماتها الخارجية والداخلية على كافة الجبهات في آن واحد، لذلك فقد ألمح الرئيس التركي أردوغان عبر إحدى تصريحاته بأن: *"المنطقة بأكملها ستكسب الكثير في حال تم تطبيع العلاقات ما بين تركيا وإسرائيل"*، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى الولوج في مفاوضات حثيثة بين مندوبي البلدين، والوصول إلى تسوية مرضية تحصل تركيا عبرها على قبول إسرائيل بتنفيذ الشرطين الأولين، وهما الاعتذار الإسرائيلي وتعويض أسر الضحايا الأتراك، فيما تبدي المرونة في الشرط الثالث وهو إنهاء الحصار عن قطاع غزة، واستبداله بإرسال مساعدات إنسانية وإغاثية للسكان في قطاع غزة عبر الموانئ الإسرائيلية.

توصيات

1- يجب عدم المبالغة في الموقف التركي بشأن قضايا الشرق أوسطية، وخاصة المتعلقة بالقضية الفلسطينية والعلاقة مع إسرائيل، حيث إن السياسة التركية الخارجية تحكمها بالدرجة الأولى المصالح القومية، التي تقتضي منها في بعض الأحيان التقارب من إسرائيل.
2- توتر العلاقات التركية الإسرائيلية لا يعني بأي حال من الأحوال الوصول إلى القطيعة الأبدية بين البلدين.
3- ضرورة وجود لوبي عربي فاعل ومؤثر في تركيا لتعزيز وتوجيه المواقف التركية المناصرة للقضية الفلسطينية، والمحافظة على ديمومتها.
4- ضرورة تعزيز العلاقة بين مؤسسات المجتمع المدني الفلسطينية ونظيراتها التركية على كافة المستويات.

5- العمل على أن تكون القضية الفلسطينية حاضرة على وسائل الإعلام والمنصات التركية المختلفة، وذلك عبر تعزيز العلاقات ما بين وسائل الإعلام الفلسطينية والتركية، وعقد ورشات عمل مشتركة بين فرق إعلامية فلسطينية وأخرى تركية.

6- التنسيق بين وزارتي التعليم العالي الفلسطينية والتركية من أجل العمل على تأسيس أقسام أكاديمية في الجامعات التركية مختصة بالدراسات الفلسطينية، لتعزيز الرواية الفلسطينية في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

الهوامش

1 حباشنة، صداح أحمد، العلاقات التركية الإسرائيلية منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة (2002- 2010م)، **دراسات**: العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 38، العدد 3، 2011، ص788-789.

2 Hürriyet (23.3.2004) Tepki yağıyor. http://www.hurriyet.com.tr/gundem/tepki-yagiyor-38583953

3 Hürriyet (14.4.2004) Erdoğan: İsrail'in yaptığı terördür. http://www.hurriyet.com.tr/dunya/erdogan-israil-in-yaptigi-terordur-217486

4 دبي، ايمان، **الدور الإقليمي لتركيا في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة**، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، 2014، ص182.

5 ليال/ ליאל, אלון (2008) תורכיה, דמו אסלאם (הקיבוץ המאוחד: תל אביב). 230.

6 מכור רישון/ מקור רישון (2.5.2005) טורקיה תסייע בתהליך השלום. https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART/928/648.html

7 ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي، أرئيل شارون (2001-2006). 29-11-2018. https://www.gov.il/ar/departments/people/sharon

8 الجزيرة نت: حماس تفوز رسميا بـ 76 مقعدا في التشريعي (26-1-2006) https://www.aljazeera.net/news/arabic/2006/1/26/حماس-تفوز-رسميا-بـ-76-مقعدا-في-التشريعي

9 Israeli Military Operations against Gaza, 2000–2008. *Journal of Palestine Studies*, *38*(3), pp.134-136. http://palestine-studies.org/sites/default/files/uploads/files/%5B122-138%5D-IDMilitaryOps.pdf

10 حطيط، أمين محمد، حرب 2006 على لبنان، خلفية وأداء ونتائج. https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2006/8/15/حرب-2006-على-لبنان-خلفية-وأداء-ونتائج

11 Budak, Oğuz (2014) An Analysis of Turkish- Israeli Relations from a role Theory Perspective (Dokus Eylul University: Izmir), 85. https://www.academia.edu/16870501/An_Analysis_of_Turkish_Israeli_Relations_from_a_Role_Theory_Perspective_Dokuz_Eylul_University_Master_Thesis

12 Hürriyet (18.2.2006) Altından o çıktı. http://www.hurriyet.com.tr/gundem/altindan-o-cikti-3952035.

13 صحيفة الدستور الأردنية (2- 8- 2006) استقالة 25 نائبا تركيا من لجنة الصداقة التركية – الإسرائيلية. https://www.addustour.com/articles/350858-استقالة-25-نائبا-تركيا-من-لجنة-الصداقة-التركية-الاسرائيلية

14 Milliyet (27.12. 2008) Barışa indirilmiş darbe. http://www.milliyet.com.tr/barisaindirilmisdarbe/dunya/haberdetay/28.12.2008/1033549/default.htm.

15 CNN العربية: العربية (5-2-2009) ردود الأفعال العربية والإقليمية والدولية تجاه الوضع في غزة. http://archive.arabic.cnn.com/2009/middle_east/1/6/gaza.responses/index.html

16 Milliyet (2.1.2009) Türkiye'den 2 aşamalı plan. http://www.milliyet.com.tr/turkiye-den--asamali-plan/dunya/haberdetay/02.01.2009/1041885/ default.htm

17 الجزيرة نت: الجزيرة نت (30 -1 -2009) مغادرة أردوغان دافوس قلبت الطاولة وأحرجت الغرب.
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2009/1/30/مغادرة-أردوغان-دافوس-قلبت-الطاولة-وأحرجت-الغرب

18 DW (29.1.2009) Erdoğan Davos'u terk etti.
https://www.dw.com/tr/erdoğan-davosu-terk-etti/a-3988806

19 Melman, Yossi, Barak Ravid (14.2.2009) IDF Officer's Criticism of Turkey Does Not Represent Official View. https://www.haaretz.com/1.5075287

20 Bendern, Paul de, Ayla Jean Yackley (14.2.2009) Turkish-Israeli ties sour further.
https://www.reuters.com/article/us-turkey-israel-sb/turkish-israeli-ties-sour-further-idUSTRE51D1OX20090214

21 وزارة الخارجية التركية: وزارة الخارجية التركية: بيان رقم: 27، التاريخ: 14 شباط 2009
http://www.mfa.gov.tr/2009-الرقم_-27التاريخ_-14-شباط-_فبراير_.ar.mfa

22 מכור רישון/ מקור רישון (19.2.2009) שיחת הבהרה לאלוף מזרחי עקב דבריו נגד טורקיה.
https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART1/856/206.html

23 مؤسسة الدراسات الفلسطينية (14-2-2009) أصدرت قيادة الجيش الإسرائيلي بياناً تبرأت فيه من التصريحات ضد تركيا.
https://www.palestine-studies.org/ar/daily/chronology/2009-02-14

24 Ynet (11.1.2010): ההשפלה הפומבית לשגריר טורקיה: "שיישב נמוך".ידיעות אחרונות/
https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3833003,00.html

25 الموقع الرسمي لوزارة الخارجية التركية: وزارة الخارجية التركية: بيان رقم: 8، التاريخ: 13 كانون الثاني 2010: تصريح حول رسالة نائب وزير الخارجية الإسرائيلي للسفير جليك قول.
http://www.mfa.gov.tr/2010-يناير-13-التاريخ_-8-الرقم_.ar.mfa

26 صحيفة هآرتس/ הארץ: (13-1-2010). סגן שר החוץ, דני איילון, שיגר מכתב התנצלות נוסף לשגריר טורקיה בישראל. https://www.haaretz.co.il/1.1559321

27 البيراوي: مقابلة شخصية مع السيد زاهر البيراوي، رئيس اللجنة الدولية لكسر الحصار عن غزة، وأحد منظمي قافلة أسطول الحرية، (11-2-2019)

28 המשרד לביטחון הפנים (4-6-2018) יחידות מיוחדות של שב"ס.
https://www.gov.il/he/departments/general/ips_special_units

29 مافي مرمرة: الموقع الرسمي لجمعية الإغاثة الإنسانية التركية (IHH). https://www.ihh.org.tr/ar/mavi-marmara

30 موسوعة الجزيرة نت: (25 -11-2014) خطاب أردوغان حول الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية.
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2014/12/25/خطاب-أردوغان-حول-الهجوم-الإسرائيلي-على-أسطول-الحرية

31 Zengin, Gürkan (2015) *Hoca, Türk Dış politikasi'nda 'Davutoğlu Etkisi'*, İnkılap Kitapevi: İstanbul, 246.

32 الموقع الرسمي لوزارة الخارجية التركية: بيان رقم: 203، التاريخ: 16 أيلول 2010.
http://www.mfa.gov.tr/ar.mfa/الرقم_-203-التاريخ_-16-سبتمبر-2010.

33 صحيفة هآرتس/ הארץ: 28-8-2011. רה"מ בנימין נתניהו הציע לדחות את פרסום דו"ח פאלמר בחצי שנה; טורקיה סירבה. https://www.haaretz.co.il/misc/article-print-page/1.1373404

34 BBC عربي نيوز (3-9-2011). سؤال وجواب، الهجوم الإسرائيلي على أسطول المساعدات.
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/09/110902_flotilla_israel

35 وزارة الخارجية التركية: مؤتمر صحفي مؤتمر صحفي لوزير الخارجية أحمد داوود أوغلو حول العلاقة مع إسرائيل، 2-9-2011.
http://www.mfa.gov.tr/sayin-bakanimizin-palmer-komisyonu-raporu-hakkinda-gerceklestirdigi-basin-toplantisi.tr.mfa

36 الجزيرة نت: أوغلو يكشف تفاصيل الاعتذار الإسرائيلي. 23-3-2013.
https://www.aljazeera.net/news/international/2013/3/23/أوغلو-يكشف-تفاصيل-الاعتذار-الإسرائيلي

37 Sputnik Türkiye (24.11.2015) Rusya: Pilotlardan biri karadan açılan ateş sonucu hayatını kaybetti.
https://tr.sputniknews.com/turkiye/201511241019216204-turkiye-suriye-askeri-ucak-rusya

38 صحيفة هآرتس/ הארץ: 14-12-2015. נשיא טורקיה ארדואן: האזור ירוויח הרבה מנורמליזציה של היחסים עם ישראל.
https://www.haaretz.co.il/news/politics/1.2798016

39 Posta (2.1.2016) Erdoğan: Türkiye ve İsrail'in birbirine ihtiyacı var.
https://www.posta.com.tr/erdogan-turkiye-ve-israilin-birbirine-ihtiyaci-var-320014

40 ترك برس: 23-6-2016.

41 Reuters (28.6.2016) Turkey, Israel sign deal to normalize ties after six years.
https://www.reuters.com/article/us-turkey-israel/turkey-israel-sign-deal-to-normalize-ties-after-six-years-idUSKCN0ZE0P5.

42 Brown, David (2002) *Palmerston and the politics of foreign policy, 1846-55*. Manchester University Press, p. 83.

43 ديليبك: مقابلة شخصية مع السيد عبد الرحمن ديليبك: أحد مستشاري رئيس الجمهورية التركي رجب طيب أردوغان، (14-3-2019).